الموسم

مجلة فصلية مُصوّرة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 20) – 1994 – 1415

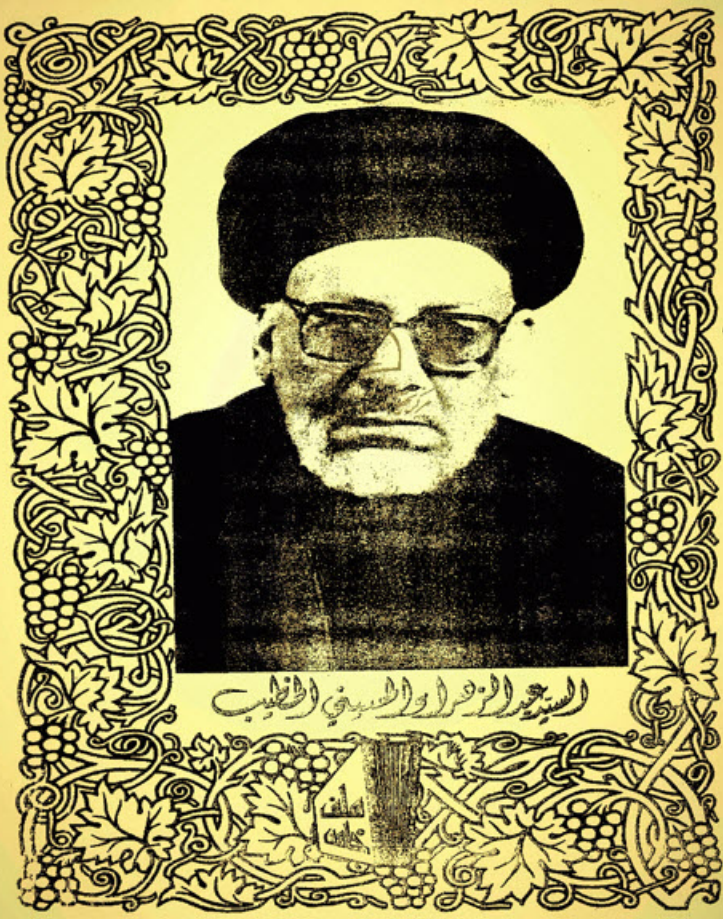

كتابخانه تخصصي زار الحديث

الاهوار السلام

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

٢٠

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

مسجلة في المملكة الهولندية

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEYERLAN
[HOLLAND]

Shiabooks.net

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

كلمة آية الله السيد محمد حسين فضل الله*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله الطيبين وصحبه المنتجبين وعلىٰ جميع أنبياء الله المرسلين. السلام عليكم أيها الأخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته.

هناك من الناس من إذا عشت معه فأنك تشعر بأنك عليك أن تعيش وأنت تحل في كل يوم عقدة من عقد شخصيته لأنه ينطلق معقداً، قد يكون فكره معقداً، وقد تكون روحه معقدة، وقد يكون أسلوبه في الحياة معقداً، وقد تكون طريقته في إدارة العلاقات معقدة، ولذلك فأنت تعاني حتىٰ بالجو العاطفي من أنك لا بد أن تعيش عقدة عقدة، ذلك هو الإنسان الذي يثقل الحياة، ويثقل كل طبيعتها الحلوة، وهناك من الناس من تشعر أنك تتنفسه عندما تجلس معه، وتحس أنك تذوب في روحه وهو يذوب في روحك وتنطلق لتشعر بالعفوية والبساطة والطهر والنقاء والانسياب في معنى الكلمات وفي كل المشاعر والاحاسيس تماماً كما هي الشمس عندما يفيض منها الشعاع من دون تكلف، وكما هو الينبوع عندما يتفجر من دون تعقيد، يعطي ويعطي ويعطي، ولا يحس بالعطاء، لأن العطاء شيء من طبيعته لا يتكفله، ولكنه يعيشه. من هؤلاء الناس العفويين الطيبين، فقيدنا السيد عبد الزهراء الخطيب رضوان الله عليه. عرفته قبل ما يقارب الثلاثين سنة قبل أحداث الحرب اللبنانية. عرفت هذا الإنسان ربما كان قبل ما يقارب العشرين سنة عندما جاء إلى بيروت ليطبع كتابه مصادر نهج البلاغة، وحل ضيفاً علينا في حوزتنا العلمية آنذاك في برج حمود النبعة، وعشت معه مدة طويلة واكتشفت فيه الإنسان الذي يعيش إسلامه بوعي وبانفتاح وبمسؤولية، والإنسان الذي يعيش شيعيته بوعي وعمق وتدبر وتحقيق وتدقيق ينطلق إلى عمق الفكر، فيما هو التشيع الفكر، ليرتبط به ولينطلق منه، ويتحرك مع كل الهوامش ليضعها في إطارها الهامشي، واكتشفت فيه الإنسان العفوي في أخلاقه، الذي تنساب أخلاقه انسياب الروح، وانسياب الضوء، وانسياب الماء من الينبوع، كنا ونحن في النجف نتحدث عن شخصيات من فقهائنا، وكان بعض الناس يقول عن بعض الشخصيات إنه إنسان يعيش بساطة الإسلام وعفويته، وكانوا يستعملون كلمة العروبة فلان (عُرْبي) على حسب اللهجة العراقية، ويقصدون به لا المعنى القومي من العروبة، لكنهم يقصدون به معنىٰ العفوية في العروبة، والبساطة في العروبة، والانفتاح على الانسان في العروبة، وتلك هي الخصائص العربية التي كانت تنطلق من كل الذين عاشوا تلك القيم التي ورثها العرب من الرسالات التي سبقتهم فاختزنوها قيماً روحية من دون ان يعرفوا طبيعة جذورها الرسالية، وهكذا كان فقيدنا من هذا الجيل، وتتابعت لقائاتنا معه وكنت ازداد قناعة بهذا الانطباع، وكنت أجد فيه الإنسان القدوة

* ألقاها سماحة السيد في الفاتحة التي أقامها العلامة السيد محمد عبد الحكيم الصافي في الحسينية الحيدرية بدمشق في ١/١/١٩٩٤.

في أخلاقه والإنسان الطيب في كل حركة الوجدان في شخصيته، وعندما تتحدث عن شخصيته، فإنك تلتقي بشخصيته كخطيب، لتجد فيه الإنسان الذي يحاول في خطابته أن لا يتحدث بما تتسابق العقول إلى تكذيبه، وبما لا تتحمل العقول حمله. كان في بعض ما استمعت إليه، كان الإنسان الذي يحاول أن يقدم لمستمعيه التأريخ المتزن الذي إذا لم يضمن صحته، فإنه يضمن عقلانيته، ويضمن انسجامه في الخطوط الكبرى للقضية، وتلك أيها الأحبة مهمة كل من يقف خطيباً، سواء كان في موقع الخطابة الحسينية، على مشرفها أفضل السلام والتحية، أو في موقع الخطابة في الجانب العام. أن الخطيب يثقف الناس، إنه يدخل إلى أفكارهم وإلى وجدانهم، يدخل إليهم فكراً قد يغير من نمط حياتهم، يدخل إليهم إحساساً وشعوراً قد يغير من انطباعاتهم، لذلك قد تكون خطيباً في مستوى الجريمة وقد تكون خطيباً في مستوىٰ المصلح. لأن قصة أن نثقف الجيل الإسلامي فيما يأخذه من أفكار، وفيما يتحرك فيه من خطوط، وفيما ينفتح عليه من قضايا، ان نثقف الجيل الإسلامي، الجيل المتعلم والجيل غير المتعلم، بأن نغرس فيهَ أفكاراً تتعبه وتتعب الإسلام معه، إن تلك تمثل جريمة، لأنك تصنع بهذه الأساليب وبهذا المنهج حواجز لكل المصلحين. انهم لا يستطيعون أن يتقدموا خطوة واحدة. ألم تكن مشكلة علي عليه السلام في كثير من اصلاحاته النداء واسنة عمراه، لماذا ذلك؟ لأن الوجدان احتوىٰ الفكرة من خلال الشخص ولم ينفتح على الشخص من خلال الفكرة لذلك كانت الفكرة الشخص ولم يكن الشخص الفكرة، ونحن في الشرق عُباد أشخاص ولسنا دعاة فكرة، إذا تغير الشخص الذي نحبه يميناً فنحن يمينيون، وإذا تغير شمالاً فنحن شماليون أو يساريون كما يقولون، لذلك أيها الأحبة، كل كلمة نقولها في الأجواء العامة هي مسؤليتنا، مسؤليتنا لا سيما أمام التحديات الكبرى التي تواجهنا، مشكلة الكثيرين منا أنهم تماماً كمثل النعامة تدفن رأسها في الرمال لئلا ترىٰ الصياد، ولا تفكر أولا تريد أن تفكر أن الصياد يراها، نحن نستغرق في خصوصياتنا ولا نتطلع إلى التحديات التي تواجه هذه الخصوصيات بكل نقد وبكل حرب ظالمة أو غير ظالمة، لذلك نحن استغرقنا في خصوصياتنا وابتعدنا عن تحديات العالم، عندما ينظر بعضنا إلى التحديات فإنه يفكر فقط في التحديات السياسية والتحديات العسكرية. لكن إيها الأحبة التحديات الثقافية أخطر وأخطر وأخطر. أتعرفون أن كل العالم المثقف الآن، كل جامعات العالم منذ الثورة الأسلامية في إيران ومنذ انطلاقة التشيع كقوة رافضة في مواجهة الاستكبار العالمي، والكفر العالمي، أصبحوا يدرسون التشيع، حتى في عاداته، حتى في تقاليده، حتى في كثير من خصوصياته التي لا علاقة لها بالعقيدة، أصبحوا يدرسونها ويناقشونها ويفلسفونها.

القضية هي أننا في مرحلتنا الصعبة التي ستتلوها مراحل أصعب على مستوى الواقع السياسي والأمني والأقتصادي والثقافي، نحن نحتاج أن نطلق فكرنا في الهواء الطلق وفي الشمس المشرقة، تاريخنا أفكارنا اجتهاداتنا كل عاداتنا وتقاليدنا إذا لم نناقش ما عندنا بعلم ومسؤولية، فسيناقشه الآخرون بدون مسؤولية، إذا لم نغير ما فسد فينا بالأساليب الاصلاحية المرتكزة على أسس أسلامية فسوف يغيرها الآخرون بطريقة أخرى، لذلك أيها الأحبة، أمام

التحديات نحتاج إلى أن نواجه التحدي، لا يجوز لأي إنسان أن يرتقي منبراً خطيباً أو عالماً إلا إذا كان يضمن مستوى الفكر أنه يفهم ما يتحدث به، وأنه يعي ما يتحدث به وأنه يملك ثقافة ما يتحدث به، وأنه يملك فهم الظروف الموضوعية التي تجعله يحاول أن يقول كلمة في موقع لا يقولها في موقع آخر، وأن يطلق شعار في مرحلة لا يطلقه في مرحلة أخرى، ألا تقرأون في علم البلاغة، البلاغة مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال، ولكن بعض الناس يقرأون قواعد البلاغة ولا يعيشون حس البلاغة، فهم من أفضل الناس فهماً للمختصر والمطول، ولكنه من أقل الناس معرفة بأساليب الكلام وبمقتضيات الأحوال، لذلك المسألة تحتاج إلى مسؤلية كبرى، من نصّب نفسه للناس موجهاً فعليه أن يقضي بالثقافة ليله ونهاره، لا أن يقرأ في الكتب ولكن أن يقرأ في الواقع، أقرؤا الحياة قبل أن تقرؤا الكتب، فإن الذين كتبوا بالكتب أناس كانوا يقرأون الحياة واعطونا تجربتهم، لذلك قالها علي عليه السلام «من العقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ما وعظك»، تلك هي المسألة، أن ما استمعت إليه من فقيدنا في بعض تجاربه الخطابية خرجت منه بانطباع أن الرجل كان مسؤولاً فيما ينقل من أحاديث وفيما لا ينقل من أحاديث، فيما يعالج من قضايا وفيما لا يعالج من قضايا. هنالك نقطة أيها الأحبة لا أقولها لخطباء المنبر الحسيني فقط ولكن أقولها لكل الذين يتكلمون في الناس من علماء ومثقفين وخطباء، لا تنظروا إلى عيون الناس كيف تلمع فرحاً بما تقولون، لكن أنظروا إلى عيون الإسلام كيف تلمع مسؤلية فيما تقولون، ليست القضية أن يصفق لكم الناس ولكن القضية هي أن تعطوا الناس كمثل الطبيب حتى الدواء المر، فإنهم قد يلعنوكم في البداية ولكنهم سوف يدعون لكم في النهاية.

مشكلتنا أن الكثيرين منا يحبون التصفيق ويحبون الهتاف، ولكن أيها الأحبة الذي يضحك هو الذي يضحك أخيراً، ليس القضيةَ هي أن يضحك لك الناس في البداية، ولكن أن يضحك لك الناس إذا كنت تحب أن يضحك لك الناس في نهاية الأمر، ونحن نعرف أن علياً عليه السلام عاش كثيراً من حياته وكان الناس لا ينفتحون عليه، وكان الناس يُعَقِّدون له حكمه، وكان الناس يضطهدون له فكره، وكان الناس يسبونه ويشتمونه، ولكن أين علي؟ وأين أولئك؟ أي علي؟ وأين أولئك؟ قالها لهم ليس أمري وأمركم واحداً، إنما أريدكم لله، أنني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم.

وعرفت الخطيب في مصادر نهج البلاغة، عرفته محققاً يتابع النص بجهد، ويتابعه بدقة، ويتحمل مسؤوليته فيما ينقل، ويقدم نهج البلاغة في مواجهة كل من قال اند للشريف الرضي، ليواجه هذا التحدي ولثبيت أن نهج البلاغة رواه العلماء والمؤلفون قبل الشريف الرضي، والواقع أنه قدم خدمة سبقه إليها علماء كثر، ولكن كتابه يمتاز بالشمولية وبالمزيد من الدقة، وبالمزيد من التحقيق، ولذلك لم يكن كتابه تكريراً لما كتب، ولكنه تأصيل لما كتب، لذلك فإنه قدم خدمة كبرى للثقافة الإسلامية ولنهج البلاغة في هذا المجال، ونحن لا نزال بحاجة مهما أمتد الزمن إلى متابعة كل نصوص نهج البلاغة وإلى مقارنة نصوص نهج البلاغة بكل ما عندنا من ثقافتنا الإسلامية، في القرآن وفي السنة النبوية الصحيحة حتى

نستطيع أن نقدم نهج البلاغة أنه فكر عليّ عليه السلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، علينا أن ندرس أيها الأخوة عندما نتحدث عن عليّ عليه السلام وعن كل ظروفه وعن كل ما عاش وعن كل المشاكل التي أحاطت به، وعن كل التحديات التي واجهها، وعن كل الحلول التي قدمها للمشاكل، وعن كل الحوار الذي أداره مع الذين وقفوا ضده، علينا إذا أردنا أن ندرس علياً فلندرسه في نهج البلاغة لأن الكثيرين منا قد يتحدثون عن علي بطريقة، ونقرأ نهج البلاغة فنجد أن هناك طريقة أخرى وأسلوب آخر، لذلك علينا أن نحاول دائماً أن نأخذ الفكرة مجموعة من خلال كل المقارنات في هذا المجال، وبذلك لا نعيش في فوضىٰ التصور لشخصياتنا لا سيما شخصياتنا التي ندين لها بإمامتها وبولايتها والسير على نهجها، لذلك أيها الأحبة عندما نذكر فقيدنا فإننا نذكر هذا الأفق الواسع، وإذا كنا نعيش حزننا الكبير لما فقدناه من لطف ووداعة ورقة وانفتاح وتسامح وطيبة وتقوىٰ، فإن علينا أن نفكر لا نفقد الإنسان عندما نفقده، لنكن نحن الذين يكملون الطريق.

أتعرفون ما هي مشكلة الكثير منا على مستوى المرجعيات، وعلى مستوى المصلحين وعلى مستوى المثقفين، أن كل واحد منا يحاول أن يبدأ من نقطة الصفر، هو يريد أن يبدأ أما كيف بدأ الآخرون وكيف يكمل ما بدأه الآخرون فهذا أمر لا نتعرف عليه، قولوا لي في كل مرجعياتنا ونحن نعيش الآن فوضى المرجعيات، قولوا لي عندما توفي السيد أبو الحسن الأصفهاني أين تراثه؟ هل سلم للمرجع الثاني؟ أو أنه احتفظ به أولاده؟ أين رسائله؟ أين كل ما تحرك فيه؟ وهكذا السيد محسن الحكيم، والسيد الخوئي وكثير من مراجعنا، كل مرجع يأتي يبدأ من نقطة الصفر، لا يحاول أن يكمل في نفس الموضوع ما بدأه، نحن نكرر كتبنا، نكررها، تماماً كما تكرر الطبعات. لننطلق على أساس أن من سبقنا بذل جهداً كبيراً، واجتاز مرحلة فعلينا أما أن ننقد ذاك الجهد ثم ننطلق لتتابع جهدنا فيما نريد أن نجدده أو نريد أن نحركه، هكذا حتى تكون المسيرة، مسيرة تستطيع ان تجعل كل الجيال التي تمر بها أو تواكبها أو تعيشها أن تجعلها مراحل تعطي كل مرحلة ما عندها للمرحلة الأخرى لتتكامل المراحل ولتنطلق لتتجمع امام الهدف الكبير. أيها الأحبة، الاستكبار يخطط، ونحن نعيش الفوضىٰ، الكفر يخطط ونحن نعيش الصراعات الصغيرة والقضايا الصغيرة، أيها الأخوة ان الله حملنا مسؤولية هذا الإسلام أن نحفظه ونحميه من أنفسنا ومن الاخرين، ان نحفظه من تخلفنا ومن جهلنا ومن تحديات الآخرين. أن الأئمة أهل البيت عليهم السلام حملونا مسؤولية التشيع أن نحميه من أنفسنا ومن الآخرين، ومن جهلنا وتخلفنا وتحديات الآخرين، التحدي أُطلق في وجهنا، فهل نكون في مستوى التحدي. الساحة تنتظر والمستقبل ينتظر حركة واعدة، حركة أسلامية واعية ثقافياً وسياسياً واجتماعياً كما هي واعية أمنياً، فهل نكون في مستوىٰ التحدي، نرجوا أن نرتفع إلى هذا المستوى وإلا فإن كل هذا اللغو وكل هذه الضوضاء وكل الأحاديث غير المسؤولة وكل النزاعات الصغيرة وكل الاستغراق في التفاصيل الصغيرة سوف يبقينا صغاراً، صغاراً نصغر أكثر ولا نكبر، وعلينا أن نعمل أن تكبر ثقافتنا وأن تكبر رسالتنا بنا، وان تكبر المسيرة بنا، الساحة مفتوحة والطريق طويل «قل أعملوا فسيرىٰ الله عملكم ورسوله والمؤمنون»